صدامية تكسر الجليد الذي يغلف هذا المخزون ويجعله في تماس يومي مباشر مع ساحة الصدام بحيث تستقطب هذه المواجهات الصدامية العناصر الاكثر حركية بين الجماهير ، التي تكون بدورها أكثر فعلا وتأثيرا في جسم المخزون فتدب فيه الحياة. وكان لا بد لهذه الصدامية ان تحقق نصرا يقنع الجماهير بصحة منطلقاتها ، نصرا يلهب مخزون الطاقة ويمنحها الثقة بقدراتها ، فكان نصر الكرامة الذي ابتدأت به مرحلة جديدة من النضال الجماهيري كان معلمها الرئيسي صدق نظرية حرب الشعب وممارستها فعلا .

المعركة في تل ابيب

في السادس من آذار الماضي هاجمت مجموعة انتحارية من فتح فندق سافوي في تل ابيب وكان حصيلة الهجوم سقوط عدد كبير من الاسرائيليين وبعض نزلاء الفندق وسقط سبعة شهداء من المجموعة وأسر الثامن . وكان من بين القتلى الاسرائيليين في هذه العملية الكولونيل عوزي يائيري الذي وصفته صحيفة « جيروساليم بوست » الاسرائيلية (٣/١٣) بأنه « واحد من أبرز ضباط الجيش الاسرائيلي خبرة وشجاعة وقدرة » وذكرت انه « اشترك في غالبية العمليات التي قام بها الجيش الاسرائيلي خارج الحدود ضد الفدائيين الفلسطينيين منذ العام ١٩٦٧ » . وقد ذكرت صحيفة « النجر » العربية (٣/١٤) التي تصدر في القدس « ان يائيري قاد العملية الاسرائيلية التي جرت في ١٠ نيسان ١٩٧٣ في بيروت واستشهد فيها القادة الفلسطينيون الثلاثة كمال ناصر وابو يوسف وكمال عدوان » . وبجانب هذا الانجاز تعتبر عملية سافوي من أكفأ العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون في عمق الارض المحتلة لجهة اختيار الهدف (تل ابيب) ووسيلة الوصول اليه اذ نقلتهم قوارب مطاطية من سفينة في عمق البحر الى الساحل الفلسطيني . وكفاءة العملية جعلت اذاعة اسرائيل (٣/٨) تعترف بأنه « اتضح نتيجة التحقيقات ان المجموعة [الفدائية] كانت مدربة جيدا » .

غير ان المدلول السياسي لهذه العملية يظل ذا اهمية خاصة . فقد تم التنفيذ عشية وصول كيسنجر الى المنطقة لاجراء جولة جديدة من المحادثات تستهدف ايجاد تسوية ما تشير جميع التحليلات الى انها ستكون منافية لمصلحة الشعب الفلسطيني وعلى حسابه . فبالاضافة الى ان العملية هي جزء من النضال الفلسطيني المسلح المستديم ضد العدو الا انها بنتائجها المباشرة وتوقيتها تعتبر تذكيرا بوجود العنصر الفلسطيني طرفا أساسيا في الصراع ، وبقدرة هذا العنصر على التأثير في مجرى الاحداث بل تحويل هذا المجرى ان لم يكن متماشيا مع مصلحة الشعب الفلسطيني وكان يتنافى مع مصلحة قضيته . وتدرك اسرائيل هذه الحقيقة التي عبر عنها الجنرال موردخاي غور ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، اثناء جولة تفقدية قام بها يوم ١٣ آذار على الجبهتين المصرية والسورية، بقوله «ان آلافا من الفلسطينيين المدربين في سوريا تواجههم الان اسرائيل وهم يشكلون القوة الضاربة الاولى التي قد تنزلها سوريا أو أي قوة عربية أخرى الى الميدان لتحقيق اهداف مختلفة بينها تفجير اتفاق قد يحصل بيننا وبين المصريين . وهؤلاء يمكنهم ان يفعلوا ذلك اما عن طريق ضرب مواقع عسكرية اسرائيلية او حتى مواقع مدنية كما يمكنهم ان يتحركوا من دون ان تكون لذلك علاقة باتفاق مصري — اسرائيلي ». وبغض النظر عن هذا الايحاء الذي تقصده رئيس الاركان الاسرائيلي باخضاعه الارادة الفلسطينية لـ « أي قوة عربية اخرى » فان التأثير الفلسطيني في الحسم أصبح حقيقة مسلما بها ولا يمكن تجاهلها .

المقاومة والتحالفات العربية

منذ حرب تشرين الاول كان التصور الذي ساد هو ان نتائج الحرب الايجابية وضعت الصراع العربي — الاسرائيلي في مرحلة جديدة ستجد فيها اسرائيل نفسها ، بفعل تأثيرات الحرب المحلية والدولية ، مضطرة الى الانسحاب من بعض الاراضي العربية : الفلسطينية والسورية والمصرية. واذا كان مصير الاراضي المصرية والسورية معروفا: عودتها الى الدولة صاحبة السيادة ، فان النضال التحريري المسلح والسياسي الذي خاضته حركة المقاومة خلال سنوات عدة سبقت الحرب الاخيرة وضعها وجها لوجه امام مسؤولياتها تجاه الاراضي الفلسطينية فبدأت نضالها السياسي لتثبيت حقها في التصرف بمصير هذه الاراضي وتقرير مستقبلها ،